

المساهمة الخلدونية في حركة التأسيس المعرفي والبناء الحضاري الإسلامي

د/يوسف العايب

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

مقدمة:

إن الهدفية التي تميز بها الإسلام كدين، طبعت حياة المسلمين في كل مجال، فالهدف من الحياة ومن المعرفة والفكر وإعمال العقل والعمل في حياة المسلم تحقيق كامل العبودية لله رب العلمين، فمهما اختلفت الطرق، وتشعبت السبل في التفكير والبحث عن الحقيقية بمختلف العلوم النقلية والعقلية، الكونية منها والإنسانية، فالهدف واحد هو معرفة الله قصد عبادته حق العبادة، ولذا كانت المعرفة في الإسلام مهما اختلفت مصادرها ومظاهرها ومقاصدها متكاملة ومتناسقة بحيث لا تناقض ولا تصادم بينها.

وبهذا المنطلق العقدي في النظر للمعرفة انطبعت الحركة العلمية والمعرفية الإسلامية عبر التاريخ، فما نشأ من علومٍ مأسساً على النقل أو صادرا عن النظر العقلي كان كله متناسقا ومتكاملا لخدمة الغاية الكلية من الوجود.

وعلى هذا المنوال سار المؤرخ العالمي ابن خلدون الذي بجهد المعرفي والعلمي تصدى للهجمات التغريبية المحولة الفصل بين المعارف العقلية والنقلية وخلق الازدواجية المتضادة بين العلوم، وذلك من خلال رؤيته الإسلامية للعلاقة بين العلوم والمعارف المنبثقة من الروح الإسلامية العامة، هذه الرؤية التي ساهمت في التاريخ الإسلامي من تصحيح ما وقع فيه بعض المفكرين الإسلاميين قبله من أخطاء منهجية في رؤيتهم للعلاقة التي تحكم المعارف بعضها ببعض، كما ساهمت في إعادة البعث والبناء الحضاري، مستلهمة في ذلك من روح الإسلام وقيمه العالية.

المعرفة والحضارة الإسلامية قبل ابن خلدون:

على الرغم مما امتازت به التجربة الخلدونية من الأصالة والتجديد والإضافة والتصحيح في الفكر الإسلامي والحضاري بصفة عامة، والعلمي والمعرفي بصفة خاصة، إلا أن هذا لا يعني بأن الواقع المعرفي - خاصة - قبله كان واقعا جامدا أو تابعا ومقلدا لغيره، فمنذ البدايات الأولى للحضارة الإسلامية رسمت لنفسها نسقا ومسارا معرفيا خاصا متميزا عن غيره وما سبقه من حضارات بائدة أو متزامنة، فكانت المعرفة في الإسلامية تدور حول نقطة واحدة، هي المنطلق والمنتهى في نفس الوقت، هذه النقطة المبدأ هي التوحيد، أو

عقيدة التوحيد التي طبعت حياة المسلمين في كل المجالات الدينية والدينية، السلوكية والمعرفية، الثقافية والحضارية، فسلوك المسلم وتعامله مرتبط بعقيدته التوحيدية، ومعرفته وإعماله للعقل وبخثه عن الحقائق وتفكيره ينطلق من التوحيد ليصل إليه في النهاية، لذا كانت المعرفة في الإسلام قبل ابن خلدون سواء ما تعلق منها بالنص أو بالعقل تنطلق من نفس النقطة لترجع إليها في النهاية بعد البحث والتمحيص والتدقيق، فكانت المعارف متكاملة، النقلية منها والعقلية، الأصيلة منها والوافدة، ولكن هذا لا يعني بأن كل المحاولات المعرفية خاصة في تصنيف العلوم قبل ابن خلدون كانت تتميز بالأصالة والتكامل المعرفي، فقد جاءت بعض الاجتهادات الفردية التي خلقت ازدواجية في العلوم والمعارف، إلا أن هذه الاجتهادات لم تأثر بشكل كبير على المسار العلمي العام الذي تميزت به الحضارة الإسلامية من التكامل والتناسق المعرفي بين المعقول والمنقول، الأصيل والوافد.

وفي الآتي رصد لبعض الاجتهادات الإسلامية في مجال تصنيف العلوم قبل المساهمة الخلدونية، سواء ما تميز منها بالأصالة أو بالمخالفة:

1- التصنيفات التكاملية:

كانت هذه الوجهة متأخرة في الزمن بالنسبة لسابقتها، إذ لا نجد لها ظهوراً إلا في أواخر القرن الرابع، وسنعمد على إدراج بعض الاجتهادات التصنيفية التي كانت تحاول التحرر من التصنيف اليوناني للمعرفة والعلوم، والمحاولة القيام بالتصنيف اعتماداً على الذاتية من اسجلاءً لخصائص العلوم الموجودة في الواقع الإسلامي، ورجوعاً في الأسس إلى الأصول العقديّة التي كان التوحيد يشكل محوراً وبعدها الأساسي. وفيما يلي عرضٌ لبعض التصنيفات التأصيلية بصفة موجزة:

أ- ابن النديم، أبو الفرج محمد ابن إسحاق: (ت: 385هـ)¹

لم يخصص ابن النديم كتاباً معيناً لتصنيف العلوم، حتى كتابه "الفهرست" لم يخصصه ابن النديم لهذا الغرض، ولكن يمكن من خلال الملاحظة والتدقيق أن نستنتج فلسفة ابن النديم في تصنيف العلوم من خلال كتابه السابق الذكر، خاصة عندما نقرأ وصفه لكتابه في المقدمة عندما قال: « هذا فهرست كتب جميع الأمم

¹ ابن النديم: محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم، ويكنى بأبي الفرج، ولد بين أعوام (315 و320هـ) وترجع المصادر تاريخ وفاته إلى 380هـ أو 385هـ، وقد عاش في القرن الرابع هجري الذي تميز بأنه قرن النضج الفكري والعقلي في العالم الإسلامي، من أشهر مؤلفاته كتاب "الفهرست"

من العرب والعجم . الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم ، وأخبار مصنفها ، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم ... منذ ابتداء كل علم اخترع إلي عصرنا هذا »¹.

ولقد قسم ابن النديم كتابه "الفهرست" إلى عشر مقالات، كل مقالة خصصها لعلم من العلوم المنتشرة في زمانه، فشرح ذلك العلم وبين نشأته واقتباساته وأهم ما أُلّف فيه².

ب- تصنيف العلوم عند ابن حزم: (ت: 456هـ)

خصص ابن حزم رسالتين لتصنيف العلوم هما : « رسالة التوقيف » و « رسالة مراتب العلوم »³، وقد أقام تصنيفه على أساس التفرقة بين صنفين رئيسين : صنف نافع محمود يدخل في دائرة العقل و الشرع. وصنف مذموم خارج عن دائرة العقل والشرع.

أما الصنف المحمود فهو ينقسم إلى قسمين أساسيين:

1- قسم يختص بالعلوم الإسلامية الشرعية.

2- وقسم مشترك بين سائر الأمم.

وهذان القسمان ليسا منفصلين عن بعضهما بل هما يمثلان وحدة متكاملة منتظمة في سبعة أنواع من العلوم هي: 1 علم الشريعة 2 علم اللغة 3 علم الأخبار. 4 علم النجوم. 5 علم العدد 6 علم الطب 7 علم الفلسفة.

وأما الصنف المذموم فهو يشتمل على أربعة علوم:

1 السحر . 2 لطلسمات. 3 الكيمياء. 4 الكواكب والفضاء والنجوم⁴.

2- الاجتهادات التقليدية:

ومن الناحية التاريخية فإن هذه الوجهة التقليدية كانت أسبق ظهورا من الوجهة التأصيلية، كما أنها كانت مواكبة لظهور النزعة الفلسفية اليونانية في الفكر الإسلامي التي كانت بدايتها على يد الكندي، ثم تدعمت بالفارابي وابن سينا من بعده.

¹ ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص: 3.

² ابن النديم، الفهرست، ص: 3- 5.

³ ابن حزم، رسالة مراتب العلوم، ضمن رسائل ابن حزم، ج: 1، طبعة الخانجي، القاهرة، دت، ج: 1، ص: 43.

⁴ سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم، مجلة دراسات عربية، عدد: 5، مارس: 1983، ص: 73.

وستعرض لثلاثة تصنيفات نراها كفيلة بأن تعطينا صورة كاملة لهيكل التصنيف وخصائصه في المدرسة التقليدية، وقد راعينا في هذا الترشيح شمول ونضج هذه التصنيفات، كما راعينا أيضا تمثيلها لمختلف المنازح في التأثير والتقليد، وهذه الآثار الثلاثة هي: إحصاء العلوم للفارابي، ورسائل إخوان الصفا، وأقسام العقلية لابن سينا.

أ- تصنيف العلوم عند الفارابي: (ت: 339هـ)¹

ألّف الفارابي كتابا مفردا في تصنيف العلوم سماه «إحصاء العلوم»²، وقد بين في مقدمة كتابه الهيكل التصنيفي للعلوم كما بسطه وجزّاه في أثناء الكتاب حيث قال: «قصّنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجمل ما في كل واحد من أجزائه ونجعله في خمسة فصول:

. الأول في علم اللسان وأجزائه.

. والثاني في علم المنطق وأجزائه.

. والثالث في علوم التعاليم : وهي العدد والهندسة وعلم المناظر ، وعلم النجوم التعليم ، وعلم

الموسيقى ، وعلم الأثقال ، وعلم الخيل.

. والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه ، وفي العلم الإلهي وأجزائه.

. والخامس في العلم المدني وأجزائه ، وفي علم الفقه وعلم الكلام»³.

ب- ابن سينا: (ت: 428هـ)⁴

¹ الفارابي: هو أبو نصر محمد بن نصر بن أزلغ بن طرخان، ولد في فاراب في بلاد الترك من أرض خراسان، وتعلم الطب والموسيقى والفك والرياضيات واللغة العربية والفلسفة والمنطق وكان عارفا بالعديد من لغات العالم آن ذاك، ت: 339 هـ، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م، ج: 4، ص: 240).

² الفارابي. أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، إحصاء العلوم، ت: عثمان أمين، ط 2، الأنجلو المصرية 1968، ص:

.53

³ الفارابي. أبو نصر، التنبيه على سبيل السعادة، ط حيدر آباد الدكن ، 1346 هـ. ص: 15- 26.

⁴ ابن سينا: هو أبو علي الحسين بن عبد الله المشهور بابان سينا، ولد عام 330هـ، في إحدى قرى بخارى، نبغ في الكثير

من العلوم، توفي عام 428هـ 1026م، وخلف كتبا كثيرة أشهرها كتاب القانون في الطب. (عن ابن خلكان، ج: 1، ص: 152-154).

ذكر ابن سينا تصنيفه للعلوم في مؤلفاته الكثيرة، إلا أن أوفي تصنيف له وأوضحه هو ذلك الذي أفرد له رسالة سماها «رسالة في أقسام العلوم العقلية» ولذلك فإننا سنعتمدها في توضيح تصنيف العلوم عنده.

قسم ابن سينا علوم الحكمة إلى قسمين رئيسيين: كل قسم منها يتفرع إلى فروع وأجزاء.

الأول: علوم نظرية مجردة، وغايتها حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان، وإنما يكون المقصود منها حصول رأي فقط مثل: علم التوحيد، وعلم الهيئة، وتنقسم هذه العلوم إلى ثلاثة أقسام:

- العلم الأسفل، ويسمى العلم الطبيعي.

- العلم الأوسط، ويسمى العلم الرياضي.

- والعلم الأعلى، ويسمى العلم الإلهي.

الثاني: علوم عملية: والمقصود منها ليس حصول رأي فقط، بل حصول رأي لأجل عمل، وهي ثلاثة

أقسام:

- علم الأخلاق.

- علم تدبير المنزل.

- علم السياسة المدنية.¹

ت- إخوان الصفا: (القرن الرابع الهجري)²:

من خلال التوزيع الذي وزع به إخوان الصفا رسائلهم الاثنتين والخمسين على العلوم، ومن خلال ما تناولته بعض تلك الرسائل مباشرة من تصنيف للعلوم وخاصة «رسالة الصنائع العلمية» تبين صورة متكاملة العلوم عندهم، وتمثل هذه الصورة فيما يلي:

تنقسم العلوم إلى ثلاثة أقسام رئيسية، ويشتمل كل قسم على أجزاء وفروع على النحو التالي:

أولاً: العلوم الرياضية أو علم الآداب وقد وضع أكثرها لطلب المعاش.

ثانياً: العلوم الشرعية الوضعية، وقد وضعت لطلب النفوس وطب الآخرة.

ثالثاً: العلوم الفلسفية الحقيقية: وتشتمل على أربعة أنواع، منها الإلهيات.¹

¹ ابن سينا، أقسام العلوم العقلية، كتاب تسع رسائل في الحكمة، القسطنطينية 1289هـ، ص: 71.

² كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، مقدمة تحقيق كتاب «مفتاح السعادة» لطاش كبري زاده، طبعة دار الكتب

الحديثة، القاهرة، 1968، ص: 224.

- معالم التقليد في المصنفات السابقة:

إن تصنيف هذه المؤلفات وغيرها ضمن الواجهة التقليدية في تصنيف العلوم لا يعني أنها لا تتميز بالجددة والتميز عن غيرها من المؤلفات والتصنيفات اليونانية السابقة عليها والمتأثرة بها بشكل أوسع، وعلى الرغم من اختلاف هذه المؤلفات الثلاث السابقة الذكر في نسبة التأثير بالفلسفة والتصنيف اليوناني واختلافها كذلك في نسبة الجدة والتأصيل، إلا أنها تشترك في مجموعة من الأمور التي تجعل منها خطأ متميزا عن غيره في تاريخ تصنيف العلوم عند المسلمين، ومن هذه الأمور ما يأتي:

1) مماثلة التصنيف الأرسطي للعلوم:

وهذا الأمر يصدق على المؤلفات الثلاث السابقة الذكر على اختلاف في نسبة المحاكاة والتأثر، فابن سينا يقلد أرسطو تقليدا كليا تقريبا من خلال تقسيمه العلوم إلى نظرية وعملية، والنظرية إلى إلهية ورياضية وطبيعية، والعملية إلى الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة.

والفرايبي الذي يبدو أنه يخالف أرسطو قليلا في تصنيف العلوم، إلا أننا عندما نتأمل جيدا تقسيمه نجده يحاكي هو الآخر أرسطو في تقسيمه، بحيث إذا تجاوزنا القسم الأول والثاني عنده (علم اللسان وعلم المنطق) باعتبارهما من علوم الآلة لا يدخلان في تصنيف العلوم، فإن الأقسام الثلاثة المتبقية يتوزع الثالث منها والرابع على تقسيم النظري الأرسطي للعلوم والقسم الخامس للفرايبي على القسم العملي الأرسطي، وبهذا يكون الفرايبي أرسطيا هو الآخر في تقسيمه للعلوم.

أما إخوان الصفا فكأنما فعكسوا ما فعله الفرايبي، حيث خصصوا القسم الأول والثاني للعلوم العملية في فصل بين علوم الآداب وعلوم الشريعة، وخصصوا الثالث للعلوم النظرية فيما يشبه تماما العلوم النظرية عند أرسطو مع زيادة المنطقيات.

وبهذا التأثير أصبحت العلوم الإسلامية العديدة التي نشأت فيما بعد ليس لها مدخل في الهيكلة التصنيفية التقليدية، وعلى أكثر تقدير أدرجت ضمن الهيكل الجاهز مسبقا، مثلما فعل الفرايبي وإخوان الصفا، أما ابن سينا فقد تجاهل تصنيف العلوم الإسلامية تماما².

2) التنظير والتجريد المفرط:

¹ إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، طبعة دار بيروت، 1983م، ج: 1، ص: 266.

² ينظر: محمد عبده صيام، رأي في قضية تأثير خطة تصنيف أرسطو على خطط تصنيف للفلاسفة والعلماء المسلمين في العصور الوسطى، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، سنة: 11، عدد: 2، و 3، أبريل يونيو 1991.

فالتصنيفات السابقة الذكر نتيجة اعتمادها في تصنيف العلوم على الرؤية النظرية التجريدية جعلها تصنف العلوم على ما ينبغي أن تكون عليه لا كما هي موجودة عليه بالفعل، فالعلوم المدرجة في التصنيفات السابقة ادرجت في الكثير منها باعتبار إمكانها وليس لما هي واقعة عليه بالفعل، وهو ما أدى إلى إسقاط الكثير من العلوم الإسلامية الموجودة والناشئة في ما بعد.

ومن مساوئ التجريد والتأثر المفرط بالتنظير الأرسطي الانتقائية في تصنيف العلوم، والذي أدى بدوره إلى إهمال الكثير من العلوم الإسلامية الواقعة والموجودة في عصر أولئك العلماء، وهذا على الرغم من إعلان المصنفين السابقين إلى أن الهدف من تصنيفاتهم هو إحصاء العلوم الموجودة في واقعهم وهو ما لم يتحقق فعلا في كتبهم وتصنيفاتهم، يقول الفارابي في كتابه "إحصاء العلوم": « قصدنا في هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علما علما »¹.

3) الازدواجية في الطرح والتصنيف:

وهذا يلاحظ من خلال التنافر والتفارق الحاصل بين العلوم المصنفة من طرف الدراسة التقليدية، فهي علوم لا يتصل بعضها ببعض، ولا ينهل بعضها من بعض، فكل علم هو منفصل عن البقية ولا تربطه به أي علاقة لا في المنشئ ولا في المنتهى، ومن مظاهر هذه الخاصية تقسيم العلوم إلى نظرية وعملية، والنظري عند ابن سينا هو ما يحصل منه رأي فقط، ومنه علم التوحيد، أما العملي فهو الذي ينبنى عليه عمل، وهو ما تخالفه النظرة الإسلامية للعلوم العملية التي ما هي وجه تطبيقي للعلوم النظرية².

4) التعميم مقابل التخصيص:

من خصائص التصنيف التقليدي هو محاولة وضع تصنيف للمعرفة الإنسانية بصفة عامة، والحديث عن أجناس العلوم التي تشترك فيها الأمم، لا كما تظهر هي عليه في خصوصيتها عند كل أمة، وهذا ما يدل عليه قول إخوان الصفا: «نريد أن نذكر أجناس العلوم ، وأنواع تلك الأجناس ليكون دليلا لطالبي العلم إلي أغراضهم»³.

¹ الفارابي. أبو نصر، إحصاء العلوم، ص: 9.

² محمد وقيدي، المبادئ المعرفية والخلفيات الفلسفية للتصنيفات الإسلامية العربية للعلوم، دراسات عربية، العدد: 5، السنة:

18، مارس 1982، ص: 83.

³ إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، ج: 1، ص: 260.

هذا التعميم أدى إلى خلل واضح في وصف العلوم الإسلامية وترتيبها وملاحظة خصائصها، فزيادة على أن العلوم الإسلامية كانت غائبة في معظمها في هذه التصنيفات وخاصة في تصنيف ابن سينا، فإنه وقع قصور في إدراك الخاصية الإسلامية في نشأة العلوم المنشأة، وفي اقتباس العلوم المقتبسة، فذكرت العلوم على وجه العموم خلوا من تلك الخصائص، منبثة عن نسقها المعرفي في البيئة الثقافية الإسلامية.

المساهمة الخلدونية في مجال تصنيف العلوم:

تقسيم العلوم عند ابن خلدون¹:

لابن خلدون تقسيمان أو نظريتان في تقسيم العلوم والمعارف، وهما:

التقسيم الأول: يذهب فيه إلى أن العلوم على صنفين:

الصنف الأول: صنف طبيعي، يهتدي إليه الإنسان بفكره، وهي العلوم الحكيمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبعه وفكره، ويهتدي إليها بمداركه، ولهذا الصنف الأول علوم أخرى إضافية كعلم المنطق.

الصنف الثاني: مأخوذ عن الشارع، لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، ثم لهذه العلوم علوم أخرى إضافية كاللغة ولنحو والأدب. وبهذا تكون العلوم حسب هذا التقسيم أربعة مجموعات².

أما التقسيم الثاني:

يقول فيه أن العلوم على صنفين: علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير القرآني، والفقه، والحديث النبوي الشريف، وكالطبعيات والأهليات من الفلسفة، وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم كاللغة العربية والحساب وغيرها.

وابن خلدون في تقسيمه هذا يكون قد تابع الكندي، الذي يعد بحق أول مصنف للعلوم عند المسلمين، فهو صاحب قسمة العلوم إلى قسمين: دينية وفلسفية، أو دينية ودينيوية، أو علوم إلهية وعلوم إنسانية، وكان ذلك اتجاهًا جديدًا على فلسفة تقسيم العلوم، وابتكارًا إسلاميًا صرفاً أبدعه فيلسوف المسلمين

¹ ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خالد، بن عثمان بن هانئ، سليلي أسرة عريقة في اليمن، ولد في تونس سنة 1332م، 732هـ، وتوفي في القاهرة سنة: 808هـ، تجلت عبقريته في ابتكار فلسفة الاجتماع والتاريخ.

² عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ت: علي عبد الواحد وافي، طبعة دار الشعب المصرية، 1970، ص:

الكندي، فكان الرائد الأول للخروج عن التقليد الإغريقي في العلوم، وأبدع بذلك تقسيماً يصلح أصلاً أن يعتمد عليه من جاء بعده من المفكرين في الشرق والغرب.

وابن خلدون في حديثه عن هذا التصنيف يعطي لنا تعريفات ودارسة تامة لكل علم من العلوم التي أشار إليها، كما أنه يستعمل الإحالة في التصنيف، ويشير إلى اشتراك العلم في أكثر من فرع، وذلك على الوجه التالي:

أولاً : العلوم الشرعية أو النقلية:

يبدأ ابن خلدون بالعلوم الشرعية، ويسمّيها العلوم النقلية أحياناً:

أ- علوم مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية:

1. علم التفسير : علم النسخ والمنسوخ علم مقاصد الآيات القرآنية.
2. علم أسباب النزول.
3. علم القراءات: فن الرسم أوضاع حروف القرآن الكريم في القراءات السبع.
4. علم الحديث: علم النسخ والمنسوخ في الحديث علم الأسانيد ومراتب الحديث، علم غريب الحديث علم المؤلف والمؤتلف.
5. أصول الفقه: القرآن الكريم السنة النبوية المشرفة الإجماع القياس ، الذي ينقسم إلى عدة فنون:

- ✓ فن النظر في حجية هذه الأدلة.
- ✓ معرفة طرق النقل ، وعدالة الناقلين.
- ✓ معرفة الأحكام الشرعية.
- ✓ معرفة النسخ والمنسوخ.
- 6. الفقه ، ويشمل : فقه أهل الر أي، وفقه أهل الحديث، ومذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ومذهب الإمام مالك بن أنس، ومذهب الإمام الشافعي ومذهب الظاهرية، ومذهب الشيعة، ومذهب الخوارج، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل.
- 7. علم الكلام.
- 8. علم الفرائض.
- 9. علم الخلافات.

10. علم آداب المناظرة.
11. علم الجدل.
12. علم المتشابه من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.
13. علم التصوف.
14. علم تعبير الرؤيا: تفسير الأحلام.
15. علم إعجاز القرآن المجيد.
- ب- علم اللسان العربي: وفيه:**
- 1- علم اللغة الذي يضم: المجاز وفقه اللغة الألفاظ المشتركة.
- 2- علم النحو.
- 3- علم البيان الذي يتناول: هيئات الألفاظ دلالة الألفاظ علم البديع.
- 4- علم الأدب الذي يضم:
- الشعر بأغراضه المختلفة مثل: المدح الرثاء الهجاء .. إلخ...
- النثر بما فيه من نثر مسجوع، ونثر مرسل.
- ثانياً : العلوم الفلسفية: العلوم العقلية:**
- يعرض ابن خلدون بعد ذلك للعلوم الفلسفية (العلوم العقلية)، بما تحتويه من:
1. علم المنطق ، وفيه:
- أ- القياس.
- ب- المعقولات.
- ت- القضايا.
- ث- البرهان.
- ج- السفسطة.
- ح- الخطابة.
- خ- الشعر.
- د- الكليات الخمس.
2. العلم الطبيعي : يتكلم عن العلم الطبيعي الذي يشمل:

- أ- علم الحيوان
- ب- علم النبات.
- ت- علم المعادن والعناصر.
- ث- الأجسام الفلكية.
- ج- علم النفس.
- ح- علم السكون والحركة.
- خ- علم الظواهر الطبيعية.
- د- علم الطب الذي يتناول:
- علم الأدوية.
- علم الأغذية.
- علم أسباب المرض.
- علم علامات المرض.
- علم وظائف الأعضاء.
- علم الحركة
- ذ- علم الكيمياء
- ر- علم الفلاحة (الزراعة).

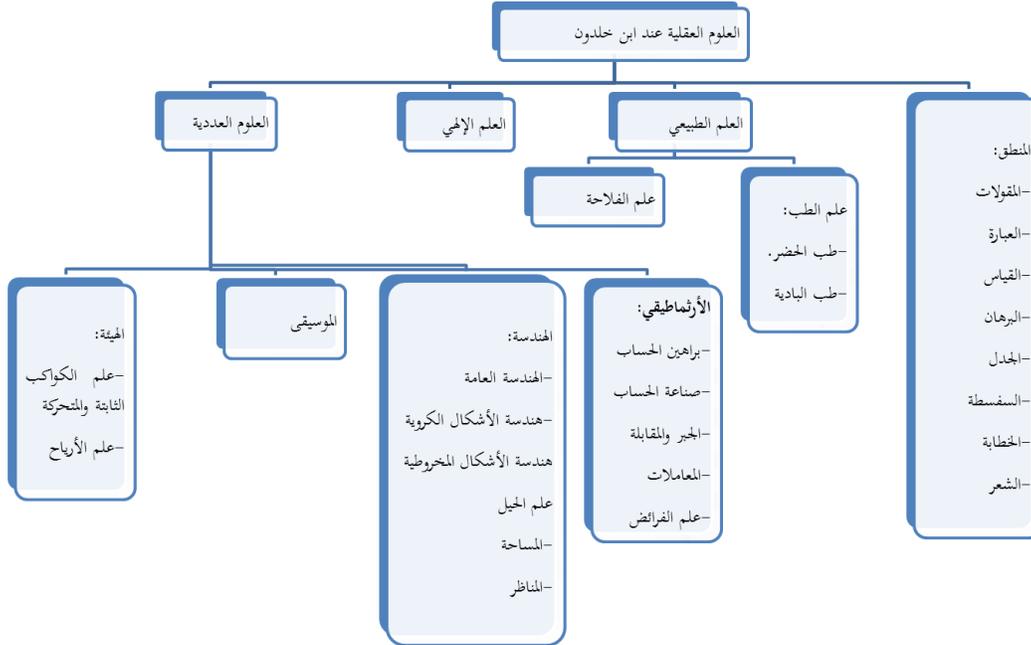
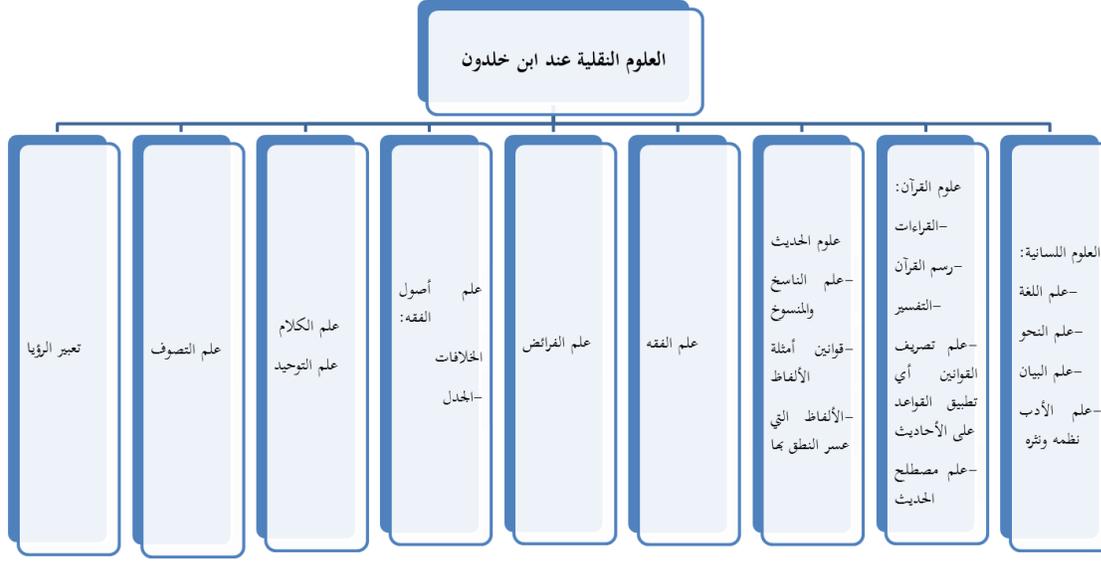
3. ما وراء الطبيعة (العلم الإلهي)، وفيه:

- أ- الوجود المطلق
- ب- الماهيات
- ت- الوحدة
- ث- الكثرة
- ج- الوجود
- ح- الإمكان
- خ- أحوال النفس.

4. ثم العلوم العددية أو التعاليم ، وتشمل:

- أ- علم الأثرماطيقى والذى فيه:
- علم معرفة خواص الأعداد
 - صناعة الحساب) علم الحساب)
 - علم الجبر والمقابلة) التفاضل والتكامل)
 - علم المعاملات الحسابية
 - الفرائض الحسابية
- ب- الهندسة، ومنها:
- علم السطوح والأقدار المتناسبة
 - نسب السطوح
 - علم المنطقات والقوى (الجزور والمجسمات)
 - علم هندسة الأشكال الكروية والمخروطات.
 - علم الحيل.
 - علم المساحة.
 - علم المناظر.
- ت- علم الهيئة والفلك ، وفيه:
- علم الأزياج.
 - علم معرفة الشهور والأيام والتواريخ.
 - علم استخراج مواضع الكواكب.
 - علم السحر.
 - علم الطلسمات.
 - علم أسرار الحروف (علم السيمياء)
 - علم الموسيقى¹.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، نفس الصفحات.



المساهمة الخلدونية وتصحيح المسار العلمي الإسلامي:

(1) الواقعية.

أهم خاصية تميزت بها المساهمة الخلدونية في مجال تصنيف العلوم هي الواقعية، أي الانطلاق من الواقع العلمي والثقافي المعيش في تصنيف العلوم، ومن مظاهر الواقعية في تصنيفه أن العلوم المدرجة والمصنفة عنده

تجمعت من الواقع الثقافي والعلمي في البيئة الإسلامية على أساس من إحصاء للعلوم التي كانت قائمة بين الناس سواء كانت معتمدة في النظام التربوي العام، أو من العلوم التي كانت خاصة التداول بين العلماء من المسلمين وغير المسلمين أو محفوظة في الكتب والرسائل¹.

وقد عبر ابن خلدون بوضوح عن هذا المنطلق الواقعي لتصنيفه في ترجمته للفصل الذي خصصه لتصنيف العلوم حيث قال: «فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد»²، ونفس المسلك سلكه غيره من العلماء أصحاب التصنيف التأصيلي حيث يقول ابن النديم: «هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم»³.

وتظهر واقعية ابن خلدون في تصنيف العلوم فيما سلكه من توازن واتزان في تصنيفه حيث خصص مجموعتين أو دائرتين كبيرتين تندرج فيهما جميع العلوم، دائرة للعلوم الشرعية وأخرى للعلوم العقلية، وهذه الواقعية في التقسيم المتوازن نجدها كذلك عند غيره مثل ابن النديم وابن حزم وغيرهما⁴، وفي نطاق تلك الدائرتين رتب ابن خلدون العلوم بحسب تقاربها وتواصلها وتفرع بعضها من بعض، وهو ما بدا واضحا في تصدير العلوم الشرعية بالقرآن وعلومه والحديث وعلومه، ثم إتباع ذلك بعلوم الفقه والعقيدة وعلوم اللغة، وذلك ما يطابق واقع العلوم في نشأتها من النظر في القرآن والحديث، وفي استخدامها لتحليل ما جاء فيهما بما يتعلق بالمعنى والمعني.

وتبدو واقعية ابن خلدون ومنهجيته الإسلامية في تصنيف العلوم من خلال ترتيب العلوم بحسب واقع المسلمين وحاجتهم الثقافية والعلمية إليها، بحيث جاء تصنيفه وكأنه برامج تعليمي لعموم المسلمين، وهذا عكس التصنيفات القديمة ذات النزعة الفلسفية، ومن الشواهد على ذلك جعل القرآن والحديث محورا لسائر العلوم الشرعية، وهي إشارة إلى أن باقي العلوم ينبغي أن يكون البحث فيها مرتبطا بالقرآن والحديث لأنهما الأصل المرجعي لسائر العلوم الشرعية الأخرى.

2) التكامل والتآلف:

¹ ناهد محمد سالم، نظم تصنيف المعرفة عند المسلمين، دراسة تحليلية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 2000م، ص:

218.

² ابن خلدون، المقدمة، ص: 405

³ ابن النديم، الفهرست، ص: 3.

⁴ ابن النديم في تخصيصه لسائر مقالات للعلوم الشرعية، وأربع للعلوم القديمة، وعند ابن حزم فيما أفرد من مجال للعلوم

المحمودة وآخر للعلوم المدمومة.

ثاني خاصة تميزت بها المساهمة الخلدونية في مجال تصنيف العلوم هو حرصها على التكامل بين العلوم، وبند التفرقة التشرذم الذي طبع التصنيف الفلسفي السابق للعلوم، بحيث بنى ابن خلدون تصنيفه على نسق ظهرت فيه العلوم متكاملة متألّفة، وذلك سواء بالنظر إلى الهيكل التصنيفي العام، أو بالنظر إلى علاقة العلوم ببعضها الناشئة منها في البيئة الإسلامية أو المقتبسة.

فإذا ما نظرنا إلى الهيكل العام للتصنيف الخلدوني للعلوم وجدنا الأقسام الأساسية أقيمت بحسب واقع التفكير الذي من خصائصه التواصل والتتابع والتفريع المنطقي المعقول، ولم تقم على أساس واقع التصور النظري والوجودي للعلوم كما كان الحال عند فلاسفة اليونان ومن تأثر بهم من فلاسة مسلمين، ويبدو هذا المعنى جليا حينما صدر ابن خلدون تصنيفه بالقرآن وعلومه، ثم تابع ذلك بالعلوم التي هي وسيلة لفهم القرآن من نحو وآداب وشعر، ثم بالعلوم التي تستمد من القرآن معانيها وأصولها مثل علم الكلام والفقه والحديث، ثم بالعلوم الفلسفية¹.

كما أن تقسيم ابن خلدون العلوم إلى علم عقلي وعلم شرعي لم يكن تقسيما على أساس التناقض بينها في الموضوع ولا في الغاية، بل هو تقسيم على أساس وسيلة المعرفة ومنهجها كما تدل عليه نفس العبارة، ولذلك نجد بين في مواطن عدّة مظاهر التواصل والتكامل بين ما هو عقلي وما هو شرعي من العلوم.

هذا من ناحية الهيكل العامل لتصنيف العلوم، أما من ناحية وضع العلوم في حد ذاته فإن التكامل والتآلف بين العلوم يظهر عند ابن خلدون من خلال التواصل الذي سطره بين كل العلوم الشرعية منها والمقتبس، وقد بين حقيقة التواصل بين العلوم الشرعية تمهيدا لإيرادها مرتبة في التصنيف، حيث يقول: «أصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالي المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق، فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا، وهذا هو علم التفسير، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) الذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القراء في قراءته، وهذا هو علم القراءات، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها، والكلام في الرواة الناقلين لها، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارها بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه هي علوم الحديث، ثم لا بد استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو أصول الفقه، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالي في أفعال المكلفين، وهذا هو الفقه، ثم إن التكاليف منها بدني، ومنها قلبي، وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد، وهذه

¹ عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص: 34.

هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر، والحجاج والقدر، والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام، ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها، وهي أصناف فمنها علم اللغة، وعلم النحو، وعلم الأدب حسبما نتكلم عليها كلها»¹.

أما العلوم العقلية المقتبسة فإن ابن خلدون قد وضعها أيضا في نطاق الهيكل العام في سياق كانت فيه متواصلة مع العلوم الشرعية متكاملة معها، ولا يتردد ابن خلدون في أن يضع علم الفرائض وهو فرع من الفقه ضمن العلوم العددية المقتبسة كمظهر للقاء بين الفقه والحساب مبينا ذلك بقوله: «فتشتمل حينئذ هذه الصناعة (أي الفرائض) على جزء من الفقه، وهو أحكام الوراثة من الفروض والعقول والإقرار والإنكار، والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها، وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهمان»².

3 الهدفية والرسالية:

تبرز الهدفية والرسالية في المساهمة الخلدونية في تصنيف العلوم من خلال الإشارة السابقة الذكر أن التصنيف الخلدوني للعلوم كان ينطلق من الواقع الثقافي والعلمي للمسلمين ولذلك صلح أن يكون منهاجا تعليميا وتربويا، فلم يكن تصنيفه -رحمه الله- مجرد جهد فكري للمعرفة العامة، وإنما كان وطيد الصلة بالهدفية والرسالية الإسلامية، فكان ابن خلدون من خلال تصنيفه يروم تحقيق الدين سواء على مستوى الاقتناع به عقلا أو على مستوى العمل به سلوكاً.

والدليل على هذه النزعة الرسالية في المساهمة الخلدونية هو كلامه عن بعض العلوم التي لا تستقيم مع ميزان العقل والشرع، والتي تؤدي إلى عرقة أغراض الدين كالسحر والشعوذة والتنجيم، ولذلك فإن هذه العلوم عندما ذكرها ابن خلدون أردفها بالنقد وبيان زيفها، ويعبر ابن خلدون عن هذا بقوله: «جعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر، وخصته بالحظر والتحريم»، إلا أن التنجيم وغيره من العلوم المذمومة لئن كان مذموما في ذاته لمنافاته للدين «فلا ينبغي لطالب الحقائق أن يخلو من النظر فيه ليعرف أغراضهم -أي المنجمين- ويريح نفسه من تطلعها إلي الوقوف عليها، وليفيق من دعاويهم ومخرقتهم، ويزيل عن نفسه الهم إذا عرف أن لا فائدة منه»³.

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص: 401.

² المصدر نفسه، ص: 413.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص: 440.

وتبرز رسالية ابن خلدون في منهجية انتهاز العلوم، وحديثه عن العلوم المقتبسة حيث أعطى لها معنى وغرضا غير الذي كانت عليه في الثقافة الأصلية، بحيث تتألف وتتكامل مع العلوم الشرعية وتحقق الهدف العام من التصنيف وهو خدمة الدين، فانتهاز العلوم عند ابن خلدون لا بد وان يدخل في السياق الإسلامي العام لتصنيف العلوم، فيقول مثلا عن علم الفلاحة: «كان النظر فيها عندهم -الأوائل- عاما في النبات من جهة غرسه وتنميته، ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر، ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب كتاب -الفلاحة النبوية- وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا، فاقترضوا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة»¹.

إن هذه الملاحظة تبين موقع الالتزام الذي وضع فيه ابن خلدون هذه العلم وصفا لواقعه لما دخل إلى دائرة الثقافة الإسلامية، وهي إشارة إلى أن العلوم المقتبسة في سياق التصنيف المعرفي الإسلامي ينبغي أن تكون مؤدية إلى الغرض العام الذي من أجله وجدت العلوم الإسلامية وهو خدمة الحقيقة الدينية.

(4) نقد العلوم:

لم تقتصر المساهمة الخلدونية في تصنيف العلوم على وضع العلوم السائدة في هيكل معين تنسجم فيه العلوم العقلية مع العلوم الشرعية، وإنما عمد كذلك إلى نقد بعض العلوم التي لا تحقق الهدف العام من التصنيف وهو تحقيق الدين ورفع راية التوحيد، فنقد كما سبق علم التنجيم والسحر والطلسمات، لأنه لا يحقق غاية التوحيد والدين، فيقول كما سبق: «جعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر، وخصته بالخطر والتحريم»²، كما وجه نقدا لبعض العلوم الأخرى التي كانت سائدة في وقته والتي تتعارض في بعض موضوعاتها أو معالجتها لها مع الحقائق الثابتة في الدين، مثل ما فعله في إبطال مقولات الفلاسفة التي بين دعاويها وأدلتها عليها ثم تعرض لها بالنقد لما تخالفه للحقائق الدينية الواضحة، ومن بين ما قاله في إبطال مقولات الفلاسفة، ما ذكره من تفسير الفلاسفة لمعنى السعادة المخالف عنده لمعناها الشرعي الحقيقي حيث قال: «وأما قولهم أن السعادة في إدراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل مبني على ما كنا قدمناه في أصل التوحيد من الأوهام والأغلاط في أن الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه ... ومن

¹ نفس المصدر، ص: 420.

² نفس المصدر، ص: 439.

لنا بعد ذلك بإدراك جميع الموجودات أو بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع إن لم نعمل بها»¹ وفي نهاية كلامه عن هذا العلم² يقول: «فإن هذا العلم كما رأيته غير واف بمقاصدهم التي حوّموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها»³.

ونقد ابن خلدون لهذه العلوم وغيرها مثل علم الكيمياء كان الغرض منه هو تحقيق التكامل المعرفي بين العلوم فيما يخدم الدين بصفة عامة، وهنا تظهر نزعة التصحيحية في تاريخ العلم عند المسلمين حيث تصدى بخلفيته الإسلامية التأصيلية لمحاولات الإقحام غير مدروسة لبعض العلوم ووضعها ضمن السياقات الإسلامية دون نظر واعتبار وتصحيح، مما أحدث ازدواجية بين العلوم الأصيلة والعلوم الوافدة، وهو ما لا يتماشى مع النسق العام للمعرفة في الإسلام الذي ينشد التكامل والتآلف لا التفرقة والازدواجية الحادة بين العلوم، وهذا النقد لبعض العلوم إنما يدل على عمق وعي ابن خلدون بقضية التكامل والازدواجية بين العلوم، وترسيخ جهده الفكري لتأصيل التصنيف الإسلامي للعلوم من منطلق التكامل لا التضاد والتقابل⁴.

المساهمة العلمية الخلدونية والبناء الحضاري الإسلامي:

لقد ساهم ابن خلدون شأنه شأن علماء آخرين أمثال ابن حزم وابن النديم والغزالي وابن تيمية في تصحيح مسار الحركة العلمية الإسلامية والاستفادة من التجربة التقليدية في تصنيف العلوم، وبذلك ساهم ابن خلدون وغيره بهذا التأصيل لتصنيف العلوم في البناء الحضاري الإسلامي وفق المرجعية الإسلامية الذاتية المتميزة عن غيرها من التجارب والثقافات والبيئات.

إن الأسس التصنيفية التي اعتمد عليها ابن خلدون تتجلى المساهمة الحضارية البنائية فيها من خلال النقاط الآتية:

أولاً: خدمة الدين:

وذلك من خلال ربط تصنيف العلوم بخدمة الحقيقة الدينية، وبصفة غير مباشرة في اعتماد المعقول والمنقول إشعاراً بأن العلوم النقلية هي التي تكشف عن الحقيقة الدينية أساساً، وأن العلوم العقلية عرضة

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص: 438.

² عبد المجيد النجار، نظرية التكامل المعرفي عند ابن خلدون، مقال على صفحات الإنترنت، ص: 160.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص: 438.

⁴ محمد حسن كاظم الخفاجي، تصنيف العلوم عند العرب، دراسة بمجلة المورد العراقية، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دائرة

الشؤون الثقافية والنشر، المجلد: 12، العدد: 3، سنة: 1403 هـ.

للانزلاق في خلاف ذلك، ولذلك ينبغي تصويبها ونقدها حتى تؤدي إلى نفس الغرض، كما تمثل أيضا جلية في تلك التعاليق الكثيرة التي وردت عند ابن خلدون منبهة إلى ما ينبغي أن تتجه فيه العلوم لتؤدي إلى خدمة الدين .

ثانيا: الانتهاال من غير اتباع:

ويتجلى التأصيل عند ابن خلدون في إعادة هيكلة العلوم المقتبسة في السياق الإسلامي العام وفق منهجية قرآنية في الانتهاال والاستفادة من علوم الآخرين¹، وذلك بفصلها عن سياقاتها الدينية والفلسفية وإعادة ربطها بالحقائق الدينية الإسلامية كي تتآلف وتتكامل مع غيرها من العلوم والمعارف الإسلامية النقلية منها والعقلية، وهو ما فعله ابن خلدون مع علم الفلاحة والمنطق من تغيير في بنيتيهما لما دخلا إلى البيئة الإسلامية، حيث حذف منهما أغراض الخطابة والسفسطة والسحر المناقضة للإسلام.

لقد قام ابن خلدون بتصنيف العلوم على أسس من الوعي الديني العميق والإحساس العقدي الكبير بمقتضيات عقيدة التوحيد، التي تستغرق في معانيها جميع جوانب الحياة والتي من ضمنها الحياة الفكرية والعلمية، وهو ما تجلى في جهده في ترشيد العلوم والمعرفة كي تساق في سبيل الغرض العام وهو خدمة الدين، الذي لا تقوم حضارة الإسلام إلا بالنهوض به والقيام بجميع مقتضياته.

ثالثا: تشكيل العقل المسلم الموسوعي:

إن التصنيف الذي قام به ابن خلدون وغيره من التأصيلين قد ساهم في البناء الحضاري الإسلامي من خلال المساهمة الكبيرة في تشكيل العقل المسلم، حيث عرف التاريخ الإسلامي الكثير من العلماء الموسوعيين الذي جمعوا في تكوينهم بين الكثير من العلوم النقلية والعلوم العقلية وتفاعلت هذه العلوم في عقولهم فخدموا التراث الإسلامي أيما خدمة، وهذا ما تحقق في جهود ابن رشد والسيوطي والرازي والسيوطي وغيرهم الذين استعملوا كل العلوم التي حصلوها قصد الكشف عن المراد الإلهي وخدمة الأمة الإسلامية والتأثير في واقعها منوها وعلماء وسلوكا.

الجانب الروحي في المساهمة الخلدونية:

جدير بنا أولاً أن نذكر بأن ابن خلدون لا يفصل بين الحياتي والديني، وكل حديث عن الحياة إنما هو مستمد أولاً وأخيراً من الشرع، وكل حديث عن الشرع إنما يصب حتماً في الحياة، هذه النظرة المترابطة في فكر ابن خلدون هي التي جعلت التمييز بين الكتابة الدينية والكتابة الاجتماعية مثلاً تمييزاً باطلاً، لن يصل إلى

¹ عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط:2. الجزائر. 1981. ص: 450.

شيء أبداً، ومنه كانت قراءة المقدمة مهمة دينية في أساسها، حتى وإن انصرف الذهن فيها إلى ما استحصده الحضارة الإسلامية في مسيرتها من أخطار، وما علق بها من ثقافات الغير، وما اندس فيها من عادات وأعراف وبدع¹.

ويتجلى البعد الروحي في المساهمة الخلدونية في تصنيف العلوم من خلال تقسيمه للفكر والعلوم بصفة عامة إلى ثلاثة أقسام كبيرة:

أ. علوم بما نمتدي إلى تحصيل المعاش والحياة المادية، وهو مجال التطبيق العلمي والاختراع والتكييف.

ب. وعلوم بما يحصل تنظيم التعاون مع أبناء الجنس وذلك بتنظيم الحياة الاجتماعية، وهو مجال سياسة الملك وتسيير شؤون العامة.

ج. وعلوم هي سبيلنا للنظر في معبودنا وما جاءت به الرسل من عنده، وهو مجال تنظيم الحياة الروحية والنفسية².

وهذا التقسيم الثلاثي للعلوم عند ابن خلدون ووظيفتها في حياة الإنسان إنما تبرز بشكل لافت النزعة التدينية والبعد الروحي العميق الذي كان يصغ حياة هذا الرجل، فالعلوم عنده متعلقة بأعمدة ثلاثة هي: العبادة وتحصيل المعاش، وتنظيم التعاون، والتي تصب كلها في مصب واحد في نهاية المطاف وهو تحقيق العبادة بمفهومها العام لله رب العالمين، فإذا كانت الإشارة في العبادة خالصة لعلاقة الإنسان مع ربه، فإنها في التحصيل والتعاون لا تتعد كثيراً عن الفعل العبادي في تجاوزه للذات إلى المحيط، ومنه يكون إعمار الحياة تديناً في فهم ابن خلدون، لأننا حين نتابع فكرته نقف على وعي خاص قلماً وجدناه عند من سبقه في الكتابة الدينية: تفسيراً وفقهاً... وكلاماً... لأننا نجد يميز بين وجهين للإسلام: وجه أسسته التقوى، ووجه أسسه الخوف من الأحكام، وللوجه الأول يحتج بما وقع للصحابة رضوان الله عليهم من أخذ: "بأحكام الدين والشريعة. لأن الشارع لما أخذ عنه المسلمون دينهم كان وازعهم فيه أنفسهم... يأخذون بأحكام الدين وآدابه الملقاة إليهم، بما رسخ فيهم من عقائد الإيمان... ولما تناقص الدين في الناس وأخذوا بالإحكام الوازعة، رجع الناس إلى خلق

¹ مصباح العاملي، ابن خلدون وتفوق الفكر العربي على الفكر اليوناني باكتشافه حقائق الفلسفة، دار الجماهيرية للنشر، والتوزيع، 1988، ص: 369.

² عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ص: 459.

الانقياد للأحكام السلطانية. والأحكام الشرعية غير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتي. أما الأحكام السلطانية فإن الوازع فيها أجنبي ولا بد أن تؤثر في ضعف نفوسهم"¹.

خاتمة:

خلاص البحث أن المساهمة الخلدونية في تصنيف العلوم كانت صادرة من وعيه بالانتماء الحضاري الإسلامي وان كل محاولة فكرية ومعرفية لا بد لها أن تكون منسجمة مع النسق المعرفي الإسلامي العام، لذا كان حريصا على وضع التكامل بين العلوم المختلفة الأصيلية منها والوافدة، وفق منهجية علمية تتألف فيها العلوم جميعا، فالعلوم الناشئة في البيئة الإسلامية علوم منحدرتة من الأصل وهو القرآن والسنة، والعلوم الوافدة علوم خادمة كذلك للأصل، وهذا ما جعل ابن خلدون يصفي العلوم المقتبسة من خلفياتها الفلسفية والدينية ويعيد صياغتها كي تنسجم مع السياق المعرفي الإسلامي العام.

هذه المساهمة الخلدونية في تصنيف العلوم ساهمت في تصحيح البدايات المتعثرة نوعا ما في هذا المجال، والتي كانت تنظر للعلوم بمنظار الازدواجية والتضاد والافتراق، وهو ما لا يتماشى مع النظرة الإسلامية للعلم التي ترى بأن مصدره واحد والغاية منه واحدة، فالذي أنزل الوحي هو الذي بث السنن الكونية والنفسية والاجتماعية في هذا الكون، لذا يتسحيل أن تتضاد الحقائق الدينية مع الحقائق الكونية، والغاية من العلم واحدة وهو تحقيق الدين وعبادة الله تعالى، لذا كان ابن خلدون ينظر للعلوم كلها على أساس أنها الطريق إلى عبادة الله تعالى، هذه النظرة الخلدونية للعلوم جعلت منه يصنمها على أساس التكامل والتآلف، وهو ما أدى بدوره إلى تنمية الوعي الحضاري والإسلامي في نظرتة للعلم، وكوّن عبر التاريخ عقولا موسوعية تؤلف في شتى العلوم وتخدم الحقيقة الدينية الواحدة من زوايا متعددة.

¹ ابن خلدون. المقدمة: ص:127.